آثار علمية

﴿ ملخص خطاب مولانا الاستاذ الحكيم ﴾

« في ختام درس المنطق »

وعدنا بأن نأتي بما وعيناه من ذلك الخطاب البليغ وها نحن اولاء منجزوا موعدنا : قال الاستاذ بعد ماتقدمت الاشارة اليه من ذم الاطراء ما مثاله ملخصاً

سعادة الناس في دنياهم واخراهم بالكسب والعمل فان الله خلق الانسان واناط جميع مصالحه ومنافعه بعمله وكسبه والذين حصلوا سعادتهم بدون كسب ولا سعي هم الانبياء عليهم الصلاة والسلام وحدهم لا يشاركهم في هذا احد من البشر مطلقاً والكسب مهما تعددت وجوهه فانها ترجع الى كسب العلم لأن أعمال الانسان انما تصدر عن ارادته وارادته انما تنبعث عن آرائه وآراؤه هي نتائج علمه فالعلم مصدر الاعمال كلها دنيوية واخروية فكما لا يسعد الناس في الدنيا الا باعمالهم كذلك لا يسعدون في الآخرة الا باعمالهم . وحيث كان للعلم هذا الشأن فلا شك ان الخطأ فيه خطأ في طريق السير الى السعادة عائق او مانع من الوصول اليها فلا جرم ان الناس في اشد الحاجة الى مايحفظ من هذا الخطأ ويسير بالعلم في طريقه القويم حتى يصل السائر الى الغاية وهذا هو المنطق المسمى بالميزان والمعيار الذي يضبط الفكر ويعصم الذهن عن الخطأ فيه ولهذا كانت العناية به من اهم ما يتوجه اليه طلاب السعادة

اعتنى العلماء في كل امة بضبط اللسان وحفظه من الخطأ في الكلام ووضعوا لذلك علوماً كثيرة وما كان للسان هذا الشأن الا لانه مجلى للفكر وترجمان له وآلة لايصال معارفه من ذهن الى آخر فاجدر بهم ان تكون عنايتهم بضبط الفكر اعظم . كما ان اللفظ مجلي الفكر هو غطاؤه ايضاً فان الانسان لايقدر على اخفاء افكاره الا بحجاب الكلام الكاذب حتى قال بعضهم ان اللفظ لم يوجد الا ليخفي الفكر

انما ينتفع بالميزان الذي هو علم الفكر من كان له فكر والفكر انما يكون فكراً له وجود صحيح اذا كان مطلقاً مستقلا يجري في مجراه الذي وضعه الله تعالى عليه الى ان يصل الى غايته واما الفكر المقيد بالعادات المستعبد بالتقليد فهو المرذول الذي لاشأن له وكأنه لاوجود له . وقد جاء الاسلام ليعتق الافكار من رقها ويحلها من عقلها ويخرجها من ذل الاسر والعبودية فتوى القرآن ناعياً على المقلدين ذاكراً لهم بأسوأ ما يذكر به المجرم ولذلك بني على اليقين الذي علمتم معناه موضحاً في درس سابق (١) لاينبغي للانسان ان يذل فكره لشيء سوى الحق والدليل للحق عزيز . نعم يجب على كل طالب علم ان يسترشد بمن تقدمه سواء أكانوا احياء ام اموتاً ولكن عليه ان يستعمل فكره فيما يؤثر عنهم فان وجده صحيحاً اخذ به وان وجده فاسداً تركه وحينئذ يكون ممن قال الله تعالى فيهم « فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو

(١) قال الاستاذ هو اعتقاد ان الشيء كذا وانه لا يمكن ان يكون الا كذا لانه مطابق للواقع وهو بمعنى قولهم الاعتقاد الجازم المطابق للواقع واما قولهم عن دليل فلا معنى له لأن اليقين اكثر ما يكون في البديهيات وهي لايدلل عليها

الالباب » والا فهو كالحيوان والكلام كاللجام له او الزمام يمنع به عن كل ما يريد صاحب الكلام منعه عنه ويقاد الى حيث يشاء ذلك المتكلم أن يقاد اليه من غير عقل ولا فهم

ما الذى يعتق الافكار من رقها وينزع عنها السلاسل والاغلال لتكون حرة مطلقة ؟ الجواب عن هذا السؤال يحتاج الى شرح طويل لان تخليص الافكار من الرق والعبودية من اصعب الامور ويمكن ان نقول فيه كلمة جامعة يرجع اليها كل مايقال وهى (الشجاعة) . الشجاع هو الذي لا يخاف فى الحق لومة لائم فمتى لاح له يصرح به ويجاهر بنصرته وان خالف فى ذلك الاولين والآخرين . ومن الناس من يلوح له نور الحق فيبقى متمسكاً بما عليه الناس ويجتهد فى اطفاء نور الفطرة ولكن ضميره لا يستريح فهو يوبخه اذا خلا بنفسه ولو فى فراشه . لا يرجع عن الحق او يكتم الحق لاجل الناس الا الذى لم يأخذ الا بما قال الناس ولا يمكن ان يأتى هذا من موقن يعرف الحق معرفة صحيحة . ان استعمال الفكر والبصيرة فى الدين يحتاج الى الشجاعة وقوة الجنان وأن يكون طالب الحق صابراً ثابتاً لا تزعزعه المخاوف فان فكر الانسان لا يستعبده الا الخوف من لوم الناس واحتقارهم له اذا هو خالفهم او الخوف من الضلال اذا هو بحث بنفسه واذا كان لا بصيرة له ولا فهم فما يدريه لعل الذى هو فيه عين الضلال . اذن « ان الخوف من الضلال هو عين الضلال » . فعلى طالب الحق ان يتشجع حتى يكون شجاعاً والله تعالى قد هيأ الهداية لكل شجاع فى هذا السبيل ولم نسمع بشجاع فى فكره ضل ولم يظفر بمطلوبه .

وههنا شيء يحسبه بعضهم شجاعة وما هو بشجاعة وانما هو وقاحة

وذلك كالاستهزاء بالحق وعدم المبالاة بالحق فترى صاحب هذه الحلة يخوض فى الأئمة ويعرض بتنقيص اكابر العلماء غروراً وحماقةً والسبب فى ذلك انه ليس عنده من الصبر والاحتمال وقوة الفكر ما يسبر به اغوار كلامهم ويمحص به حججهم وبراهينهم ليقبل ما يقبل عن بينة ويترك ما يترك عن بينة وهذا لا شك اجبن من المقلد لان المقلد تحمل ثقل التقليد على ما فيه وربما تنبع فى عقله خواطر ترشده الى البصيرة او تلمع فى ذهنه بوارق من الاستدلال لو مشى فى نورها لاهتدى وخرج من الحيرة وأما المستهزئ فهو اقل احتمالاً من المقلد فان الهوس الذى يعرض لفكره انما يأتيه من عدم صبره وثباته على الامور وعدم التأمل فيها . والحاصل ان الفكر الصحيح يوجد بالشجاعة والشجاعة ههنا (هى التى يسميها بعض الكتاب العصريين الشجاعة الادبية) قسمان شجاعة فى رفع القيد الذى هو التقليد الاعمى وشجاعة فى وضع القيد الذي هو الميزان الصحيح الذي لا ينبغي ان يقر رأي ولا فكر الا بعد ما يوزن به ويظهر رجحانه وبهذا يكون الانسان حرًّا خالصاً من رق الاغيار عبداً للحق وحده . وهذه الطريقة طريقة معرفة الشيء بدليله وبرهانه ما جاءتنا من علم المنطق وانما هى طريقة القرآن الكريم الذى ما قرر شيئاً الا واستدل عليه وارشد متبعيه الى الاستدلال وانما المنطق آلة لضبط الاستدلال كما ان النحو آلة لضبط الألفاظ فى الاعراب والبناء كما قلنا . ولا يمكن ان ينتفع احد بالمنطق ولا بغيره من العلوم مهما قرأها وراجعها الا اذا عمل بها وراعى احكامها حيث ينبغي ان تراعى فالذى يحفظ العلم حفظاً حقيقياً هو العمل به والا فهو منسيٌّ لا محالة وانا نرى المجاور يقضى السنين الطويلة فى الازهر

يدارس العلوم العربية ولا ينتفع بها بتحصيل ملكة العربية قولاً وكتابة وانما ذلك لعدم الاستعمال . فانصح لكل من يسمع كلامي ان يستعمل ما يحصله من العلم وان يحصل لنفسه ملكة الشجاعة وبدون هذا لا ينتفع بعلم ولا عمل ويكون الاشتغال بالدروس فى حقه من اللغو المنهى عنه المذموم صاحبه شرعاً . بل يقضى حياته كسائر الحيوانات العجم وربما كان اتعس منها . واحب ان يكون كل منكم انساناً كاملاً والانسان يطلب الجميل النافع لانه حسن فى نفسه لا لأن غيره يطلبه فلو كفر كل الناس لوجب عليه ان يكون اول المؤمنين وهذا هو الاسلام الصحيح . ثم ختم الاستاذ الخطاب بالدعاء والثناء على الله تعالى وانفض الاجتماع

(قصيدة) من القصائد التى نظمت بمناسبة الاحتفال بختم درس المنطق قصيدة غراء لصديقنا الفاضل الشيخ احمد عمر المحمصانى البيروتى قال فى مطلعها يخاطب الاستاذ

لمليـاك مجد لا يماثله مجـد ... وفضلك فضـل لا يرام له حد
وانت امام العصر بل انت شمسه ... وانت وحيد الدهر والعلم الفرد
اقمت منار الشرع فينا بهمة ... هي الهمة العلياء والفطنة النقد

(ومنها)

فلملت جموع الزيغ بالحق والهدى ... وهابتك حتى فى مرابضها الاسد
وذدت عن الدين الحنيفي مخلصاً ... على حين ان القوم ليس لهم ذود
بتفسيرك الشافي كشفت سحابة ... من الجهل قد غشت وطال بها العهد
على أمة فى غفلة عن حياتها ... وقل نصير الحق وانتشر الصدّ